اللعب وأثره في التربية

٢

أطوار اللعب

لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل خصائص ومميزات وأنواع خاصة من اللعب والميول النفسية . وأطوار اللعب شديدة الارتباط بهذه المراحل . وللباحثين فى تقسيم هذه الأطوار آراء متعددة تختلف فى ظاهرها فى مدى كل طور ولكنها متحدة فى غايتها . ولنتخير تقسيم أطوار اللعب الى الثلاثة الآتية :

(١) الطور الاول — ويمتد الى السنة السادسة أو السابعة . وأهم مميزات اللعب فى هذه المرحلة أنه فردى وأقرب الى الألعاب غير النظامية . وتتجلى فيه الحركة بجميع مظاهرها فترى الطفل يميل الى الضرب بالرجل والجرى والقفز والصياح والضحك والكلام والثرثرة والغناء ونحو ذلك . فاذا ماشب وقويت عضلاته تدرج فى ألعابه وبدت منه أنواع أخرى كالقفز بالحبل واللعب بالاطار ولعبة الدوامة (النحلة) واللعب بالطيارات وغير ذلك

وفى هذا الطور تتجلى فى الطفل قوتا التكوين والبحث فيكون لهما أثر عظيم فى أنواع من اللعب كبناء منازل أو نحوها من الرمال

وكالتخطيط بما يشبه الكتابة وكالرسم والأعمال اليدوية وكالملاعبة والاغاظة وغير ذلك

وتظهر غريزة المحاكاة فى أواخر السنة الاولى من العمر ثم تنمو وتنشط وتبدو فى أقوى مظاهرها فيكون لها فى هذه المرحلة من اللعب أثر ظاهر فترى الطفل يحاكى الأصوات المختلفة كالنباح والمواء ويميل الى التمثيل والتشبه بالحيوانات والآلات كأن يمثل حصانا أو قطا أو قاطرة أو سيارة أو يتشبه ببائع فى حانوت أو نحو ذلك

(٢) الطور الثانى — ويمتد الى الثانية عشرة وفيه تتدرج الغرائز التى ظهرت فى الدور الأول وترقى فى نموها ، وتجد غريزة المباراة فى هذا الطور ميدانا فسيحا تترعرع فيه وتنمو بما تصادف من الألعاب التى تذكى نارها وتحمل الطفل على أن يبذل مايستطيع ليصل الى أقصى مدى فى تنمية قوته وارهاف حواسه واكتساب الدقة والحذق فى أعماله اليدوية والمهارة فى صنع مايكون صعبا متعاصيا . وان الطفل الذى تحمد فيه قوة المباراة ويستوى لديه أن يفوز أو يخفق وأن ترجح كفته أو يخف ميزانه لهو جدير بالتخلف فى ميدان الحياة بعيد عن أن ينبغ فى علم أو يبرع فى عمل عقلى أو عضلى

(٣) الطور الثالث — وهو أهم الاطوار وأخص مميزاته نمو روح الاجتماع والاختلاط وظهور الألعاب التى ترتبط بالغرائز الاجتماعية فترى الألعاب فى فرق وجماعات ينسى فيها الفرد مصلحته الذاتية ويعمل لتحرز فرقته الظفر وتنال الشرف

ومما يندرج تحت أنواع اللعب مايبدو فى المجتمعات من الميل الى اقامة الولائم ومعالم الابتهاج والتفكه والتمثيل وغير ذلك مما تتجلى فيه الفنون الجميلة ومظاهر الحياة الاجتماعية

اللعب فى تاريخ التربية

ظل اللعب بمعزل عن التعليم بعيدا عن أعمال المدرسة زمنا ما حتى ازداد الاهتمام بالتربية واتسع نطاق المدارس وارتقى شأنها وفكر المربون فى ضرورة الاعتداد بالطفل وميوله فأصبح اللعب ميدان تهذيب وتربية وتقويم . ويرجع ذلك الى أسباب ثلاثة :

(١) الأول — الاهتمام بعامل من أهم عوامل التربية وهو « التشويق » ومن قبل كانت المدارس خالية الوفاض مما يستميل النفس نحو الدرس ، خالية مما يشجع على الاهتمام بالتعلم والتحصيل ، ليس فى جوها مايجعل للمواهب شيئا من الحرية في النمو ، ولم يكن للمدرس سلاح لحمل الطفل على الانتباه ومزاولة العمل سوى الشدة والارغام واستخدام وسائل القمع والاكراه . وظلت الحال كذلك حينا من الدهر حتى فكر المربون فى أن مزج الألعاب بأعمال المدرسة مما يخفف العناء ويزيد الرغبة ويقوى دعائم التربية ، ويجىء بأحسن أثر وأنفع ثمر هذا الى موافقته لطبع الطفل

والفضل الأكبر فى مزج عامل التشويق بالتربية يرجع الى « روسو » فلقد ثار ضد طرق التعليم الجامدة الاستبدادية ونادى

بوجوب مراعاة الطفل ومواهبه وغرائزه وفطرته ، ورأى أنه من الخطأ أن نكتفي بالاهتمام بمادة الدرس وسردها ، وليس من الصواب أن نهمل المتعلم وقواه النفسية . ولقد كان من المعتنقين لمذهب روسو تلميذه « بسداو » (Basedow) وكان للعب فى معاهده التى أنشأها لتحقيق أغراضه وآرائه شأن كبير

وان المعارضين لهذه النهضة فى أساليب التربية يخطئون اذ يظنون أن استخدام وسائل التشويق معناه تحويل أعمال المدرسة الى لعب ولهو لافائدة منهما ، وما دروا أن للتشويق وسائل أخرى غير استخدام اللعب . وانك لترى أن « هربارت » وأتباعه يجعلون التشويق أساسا لطرق التعليم ولم يخطر ببالهم أن يجعلوا اللعب هو العامل الوحيد أو العامل الأساسى

(٢) السبب الثانى - الاهتمام بتعليم صغار الأطفال تعليما منظما فى مدارس خاصة ، فقد دعا ذلك الى جعل أنواع اللعب مما لاغنى عنه فى تعليمهم ، لأنه من أهم العوامل فى تنمية معلومات التلاميذ وتجاربهم وشحذ مواهبهم ، وبه نستطيع استخدام كل مايقوى عليه الطفل من جهد وعمل فيجنى من ذلك نمو الجسم والعقل والخلق . وهذا هو الذى حاول « فربل » أن يحققه فى المدارس التى أنشأها وهى رياض الاطفال ولا يخطرن ببالنا أن هذه المدارس ليس فيها الا لعب قليل الجدوى غير منظم ولا مبنى على أساس فان « فربل » لم يكن مغاليا فى ارخاء

العنان للطفل ، ولم يحظر استعمال وسائل الارغام والاكراه اذا دعت الضرورة ،

ذلك أنه كان يرى أن المدرس يجدر به أن يلجأ الى غرائز الطفل وميوله فيسير وراءها فى التربية والتعليم ولكن اذا حادت هذه الغرائز عن الجادة ومالت الى الجموح فلا بد من قمعها والضرب على يدها وتخفيف حدتها بوسائل العقاب لا بقانون الجزاء الطبيعى فقط كما كان يفعل روسو . ومن هذا نرى أن اللعب الذى كان يستخدمه أتباع « فربل » انما هو لعب منظم يتبع خطة مرسومة ولا يسير على حسب أهواء الطفل وغرائزه الجامحة

(٣) السبب الثالث — هو التوسع فى فهم الغرض من المدارس وما يقصد تحقيقه فيها من أغراض التربية والتعليم فقد كانت المدارس من قبل لاتسعى الا وراء غرض واحد هو تلقين الحقائق الأدبية ونقلها من فم المدرس أو من الكتب الى عقل التلميذ وتثبيتها فى حافظته . أما الآن فان التعليم قد اتسع نطاقه وشملت دائرته كثيرا من الأغراض كالتربية الاجتماعية والوطنية وكاعداد الناشىء للقيام بعمل فى حياته وكتنمية جسمه والعناية بصحته وغير ذلك مما يجعل الفرد أسعد حالا وأنفع لنفسه ولأمته

وان كثيرا من هذه الأغراض يمكن الوصول اليه فى ميدان اللعب وساحة الحياة الاجتماعية فى المدرسة . ولقد بدأت هذه الحياة المدرسية تنال حظا عظيما من العناية فى جميع المدارس لما لها من الفوائد

الجليلة فى اعداد الطفل للحياة المستقبلة . فالأندية المدرسية والجمعيات المختلفة والرحلات ونحو ذلك كل اولئك قد أصبح عظيم الأثر فى التربية والتعليم ولا يقل فى الفائدة عما يلقى فى المدرسة من العلوم المختلفة

منزلة اللعب فى التربية

لكى تتضح لنا جليا فائدة اللعب ومكانته فى تربية النشء يجدر بنا أن نوجه نظرنا الى شيئين ففيهما البرهان الواضح على ضرورة اللعب للطفل ، أولهما حقيقة التربية ، والثانى حقيقة الطفل

(١) أما حقيقة التربية فهما تخبرنا لها من التعاريف وارتضينا من الأغراض والغايات فهى التنمية فى جميع مظاهرها العقلية والجسمية والخلقية كى يصل المرء الى الكمال اللائق به ويفهم البيئة التى يعيش فيها ويعرف نظم الحياة وقوانينها فيستطيع أن يحيا حياة سعيدة . وليس النمو الصحيح بطبقات تكدس أو حقائق تصب ثم لاتلبث أن تجف من غير أن تهضم أو تمتزج بالنفس ، بل النمو الصحيح هو النمو الذاتى النابع من الباطن أو هو التربية الاستقلالية - أو تربية النفس بالنفس — المنبعثة عن التجارب الشخصية ومواجهة حقائق الحياة . أما حبس الطفل ساعات معدودة كل يوم يتنقل فيها من درس الى آخر ، تارة يسمع وأخرى يكتب أو يرسم ، وطورا يستظهر وآخر يسطر ، فليس الا تحقيقا لشعبة واحدة من التربية وهى التربية العقلية ، على أنه لايغيب

عنا أن هذا التلقين النظرى ليس كبير الجدوى فى تثقيف العقل وتربيته، هذا الى أن المدرس اذا أراد انتهاز الفرص لتقويم الأخلاق لايجد المجال فسيحا الا لقليل من النصائح فى النظافة والجلسة المعتدلة ونحو ذلك، وما هذا الا يسير فى التربية الخلقية الحقة والتهذيب الصحيح وانا اذا نظرنا الى الموضوع من جهة توزيع ساعات اليوم ظهر لنا مقدار ماتتحمل التربية الصحيحة من غبن واهمال فان هذه الساعات اذا وزعت بين النوم والطعام والراحة ونحو ذلك لايبقى منها بعد زمن المدرسة الا ساعات تصرف فى الغالب فى استعادة الدروس واستظهارها وتأدية ما كلف المتعلم عمله فى الخارج من الواجب المنزلى، وربما ضاعت سدى فيما قد ينجم عنه الضرر، اللهم الا اذا عنى بعض الآباء والقائمين على التربية فى المنزل بهذه الساعات الباقية فارشدوا أبناءهم الى خير مايملأ به الوقت وما يعود عليهم بالفائدة ويكمل مالم تستطع معاهد التعليم تحقيقه من تربية وتهذيب وتقويم. على أن شبح الامتحانات وضرورة النجاح فيها والحصول على الشهادات وما يستدعيه ذلك فى نظر كثيرين من استظهار وانكباب على العمل قد يتغلب على كل غرض آخر فلا يطالب الآباء ابناءهم الا بالقراءة والدرس طول ساعات الفراغ. فهل ترى فى نظام كهذا دعامته الكتب واساسه الالفاظ تربية كاملة ونموا صحيحا؟ وهل نعجب اذا نشأ الناشىء بعد ذلك عاجزا عن خوض غمار الحياة العملية؟

فلكى تكون التربية كاملة يجدر بنا ان نوسع المجال لجميع مواهب

الطفل وغرائزه لتنشط وتعمل وان ندعه يواجه حقائق الحياة ليعمل بنفسه فينمو نموا صحيحا . وماذا عسى أن يكون عمل الطفل فى المراحل الاولى من حياته؟ انه لا يعرف الا اللعب والسرور سعيا وراء غرائزه وميوله

(٢) واما حقيقة الطفل ففهمها على غير وجهها هو المنبع لكثير من الخطأ فى الحكم على طبائع الاطفال وميولهم . فليس الطفل رجلا صغيرا كما يتوهم كثيرون ، وليس نظره الى الحقائق كنظر الكبار ، ولا وجهته كوجهتهم فانه يرى هذا العالم بمنظار غير منظارنا فليس من الصواب أن نقيس أعماله بما نفهم أو بما يجول بخواطرنا . ولقد يساعدنا على فهم هذه الحقيقة عن الطفل أن يتصور الانسان نفسه فى طفولته وقد خلا من كل العادات وقيود الحياة واصطلاحاتها ، وليس لديه من وسائل القوة الا غرائز تقوده ، وقد زج به فى عالم لا يدرى مما فيه من حقائق وغرائب ومشكلات شيئا — هذا هو الطفل فى طور نموه . وليست الحياة فى نظره الا اللعب والسرور والنضال بين غرائزه وميوله وما يصادف من حقائق هذا العالم ومظاهره . وحقا ان هذا النضال هو سر التربية الحقة والنمو الصحيح بل هو سر الاختراع والافتنان والرقى الذى وصلت اليه الامم المتمدينة . فاللعب اذن فى نظر الطفل هو الحياة والحياة هى اللعب . وليس لعبه نوعا من الترف أو الراحة من العناء أو ترويح النفس كلعب الكبار بل هو ضرورة حيوية وبدونه يصبح الطفل كالسجين المكبل . فاذا ما أحب الطفل اللعب فذلك لانه يحب الحياة ، وكلنا محب للحياة حريص عليها مستهام بها .

وانه لمن دواعي اغتباط المربين أن يحب الأطفال اللعب فهو وسيلة للتربية فى جميع أنواعها . ولا يأسف لهذا الا الذين لا يرون التربية الا أنها الحقائق العلميـة التى يلقنها التلاميذ فتتغلغل فى حافظتهم وتصبغ بها عقولهم صبغة ظاهرية ، ويصيرون قادرين على النبوغ فى ميادين التحبير فى الامتحان

ومالنا نحاول اقامة البرهان على فائدة اللعب ، ونظرة صادقة الى الاطفال وهم يلعبون تهدينا الى ماينطوى عليه من تعليم وتثقيف وتهذيب؛ ففى الالعاب النظامية مثلا يعتاد الطفل احترام القانون والاذعان لمن أقيم حكما أو رئيسا والرضا بالقدر والتضامن ونكران الذات فى سبيل خير المجموع واحتمال الشدائد لنيل المطالب وغير ذلك مما يستقر فى النفس استقرارا عمليا ثابتا. هذا الى تنمية الجسم وتمرين الحواس وتثقيف العقل وفهم طرائق الحياة ونظمها وقوانينها .

(اللعب فى الحياة العامة)

ان الالعاب اذا نظمت كان لها أعظم أثر فى تربية الافراد والشعوب وارشادها الى خير ماتصرف فيه ساعات الفراغ التى اذا أهمل أمرها جرت كثيرا من الضرر . وان من ينظر فى حالة الطبقات الفقيرة وسواد الامة وما يجره عليهم الفراغ وخلو حياتهم من اللعب ومسرات تصرف قلوبهم عن الشر وترقى بحياتهم الاجتماعية يعلم مقدار ماتجنى الامة من وراء

تنظيم أوقاتهم وفتح السبيل أمامهم لما يكون فى ظاهره لعبا وفى باطنه خيرا وتهذيبا .

ولا ننسى أيضا أثر اللعب فى حياة الشبان وهم على أبواب الحياة

(اللعب فى المدارس)

ربما كانت الالعاب فى المدارس ضيقة الميدان خالية من الغرض التهذيبى ، فان مايعنى به الاطفال بعد الرياضة البدنية هو لعب الكرة ويجانبها العاب أخرى يستعدفيها التلاميذ للاحتفال السنوى الذى تقيمه المدرسة كأنها دروس مدرسية . ونحن لا ننكر فائده كل ذلك . ولكنا نخشى التغالى فى حقيقة هذه الالعاب وغايتها ونظامها والخروج بها عن المقصود منها فتصبح قليلة الجدوى لاتبعث الا على المنافسة الضارة ولا تثير الا الاحقاد والشرور وتكون عبئا على التربية والتعليم .

وان الامل عظيم فى حضرات المشرفين والمشرفات على التربية والتعليم فى المدارس أن يكون لحكمتهم وعظيم خبرتهم حميد الاثر حتى يصلوا بالمتعلمين الى الكمال المنشود ؟

عبد الحميد حسن
المدرس بدار العلوم